آدم عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾

(طه:١٢١ . ١٢٢)

صدق الله العظيم

obeikandi.com

obeikandl.com

آدم هو أبو البشرية.. خلقه الله سبحانه وتعالى من طين ونفخ فيه من روحه فإذا هو بشراً سوياً.. إنسان عاقل مدرك أكرمه الله بأن علمه الأسماء كلها، وأمر الملائكة أن يسجدوا له، فهو الذى حمل الأمانة، وأصبح خليفة الله فى الأرض، وخلق الله من ضلعه حواء ليكونا نواة تدفق البشرية على الأرض وتعميرها فيما بعد. فمن نسل آدم كان ملايين البشر الذين تشاهدهم فى قارات الدنيا كلها.. فيهم الخير والشر، فيهم الحق والباطل، يسودهم السلام، وتؤرق حياتهم الحروب وسفك الدماء.. هذه الملايين التى نراها الآن فى أوج تقدمها العلمى والحضارى، هم سلالة آدم عليه السلام، وزوجته حواء.

أما الهدف من خلق آدم وحواء.. هو عبادة الله الخالق الأعظم وواهب الوجود، وأن يكون من ذريتهما كل الأمم والشعوب ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ **[الحجرات : ١٣]**.

لقد خلق الله آدم... وأمر الملائكة بالسجود له فسجدوا إلا إبليس أبى أن يكون من الساجدين، فحل عليه غضب الله لأنه لم يذعن للإرادة الإلهية، فيسجد لآدم كما سجد الملائكة، ولم يكن

إبليس من الملائكة، ولكنه كان من الجن، وقد طلب من الله عز وجل أن يمهله إلى يوم الدين، وأمهله الله حتى يكون وسيلة لإغواء ضعاف الإيمان، أما أصحاب الإيمان القوى فلا سلطان له عليهم.

لقد خلق الله حواء من ضلع آدم لتكون له سلوى فى حياته ومشاركة له فى رحلة الوجود.. وكان لابد لهما أن ينزلا من الجنة إلى الأرض، حتى تعمر الأرض بالبشر والناس وتبدأ مسيرة الإنسانية ما شاء لها الله أن تستمر فى الحياة إلى أن تنتهى الحياة، لتبدأ دورة الخلود فى العالم الآخر.

عاش آدم وحواء فى الجنة.. إلى أن وسوس لهما الشيطان بأن يأكلا من الشجرة المحرمة، موهما إياهما بأن من يأكل من هذه الشجرة فسوف يخلد، فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة..

ان الإنسان مكتوب عليه أزلا أن يعيش فى الدنيا، ويموت ويدفن تحت ثراها إلى يوم البعث والنشور..

ولم تكن الملائكة تعرف عن هذا الإنسان إلا ما أخبرهم به الله عز وجل..عندما أخبرهم أنه سيخلق الإنسان وأنه يعلم ما لا يعلمون. وعندما استكثر الملائكة على الإنسان أن تكون له هذه المكانة، رغم أنهم يعبدون الله ولا يعصونه، ثم عرفوا كيف علم الله آدم الأسماء كلها، فإذا هم يقرون بحكمة الله فيما يخلق وأن الله أكرم الإنسان عندما علم آدم الأسماء كلها، ولم تأكل الغيرة إلا إبليس:

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص : ٧١] .

هبط آدم إلى الأرض لتبدأ مسيرة الحياة . . وما أكثر ما قيل عن آدم وزوجته حواء عندما هبطا إلى الأرض . . هناك روايات كثيرة عن هذا الهبوط ، وفى أى مكان كان هذا الهبوط؟

مهما اختلفت الروايات فالذى لا شك فيه أن آدم عليه السلام عندما وجد نفسه وحيدا وسط تيه هذا الوجود ، لابد أنه قد استشعر الخوف والرهبة والقلق . . فالوجود صامت . . وهو فى هذا التيه يبحث عن رفيقة عمره لتؤنس وحشته وسط هذا الصمت الذى يحيط به من كل جانب ، ولابد أنه توجه إلى الله بكل كيانة لكى يغفر له ذلته ، وأن يعثر على رفيقة عمره ، وأن يعنه على هذه الحياة الجديدة ، التى يتناوب عليها النهار والليل ، النور والظُلمة ، الحرارة والبرودة ، وأن يعيش مع زوجته فى هذه الحياة التى تظلهما فيها هذه السماء الصافية حينا ، المتكاثرة السحب حينا آخر . . وأن تملأ عليه حياته ، ويعبدا الله وحده . . فهو وحده الكفيل برعايتهم ، وهو الذى يهديهم طريق الهدى والرشاد .

وتقبل الله توبته . . ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [٣٧ : البقرة]

وشعر آدم براحة البال بعد أن أيقن رضاء الله عنه وكان منتهى أمله أن يعثر على حواء . . فما أكثر ما كان ينادى على شريكة العمر

وسط هذا الفضاء الموحش، عسى أن ينتقل صدى صوته عبر هذا الفضاء العريض الفسيح إلى سمعها، فيجمعهما الله مرة ثانية..

وذات أمسية وعتها ذاكرة الزمان، رأى شبحها يتقدم نحوه.. وكان اللقاء الخالد على جبل عرفات.. وكانت بداية حياة جديدة على الأرض.. فقد بنيا بيتا يأويان إليه، وكان لابد أن يكون هناك بيتا لعبادة الله الواحد الأحد القهار.. وكان بيت الله الحرام.. أول بيت وضع للناس لعبادة الخالق الأعظم..

ولابد أن آدم فكر مع زوجته أن يحولا الأرض إلى صورة من تلك الجنة التى كانوا فيها، فقد كانت مليئة بالزروع والأشجار والأزهار.. فكان ذلك بداية عمار الأرض.

وبدأت الحياة.. حياة استقرت فى أعماق كل منهما أن الحياة روح ومادة.. روح تلقى بهم إلى النور حيث النفحة الربانية.. وأن عليهم أن يزكوا هذا السمو الروحى بالعبادة والاتجاه إلى الخير. وألا ينخفضا إلى حضيض المادة.. إلى التراب الذى خُلقا منه بالابتعاد عن الشر.. فقيم الخير والحب والجمال والفضائل فطرة فى أعماق الإنسان.. والشر أيضا فطرة فى الإنسان. وعليهما أن ينتصرا على عوامل الشر، بعمل الخير.. وأنجبت حواء عشرين مرة.. وفى كل مرة تحمل توأمين.. ذكرا وأنثى.

وكان أول ولد لهما هو قابيل وتوأمته «إقليما».

لابد أن آدم وحواء قد سعدا سعادة غامرة عندما أنجبا هذين الطفلين اللذين سيملآن حياتهما بالبشر والسعادة والهناء، ويملآن فراغ حياتهما..

وحملت حواء مرة أخرى.. وكان «هابيل» وتوأمته «لبودا». ولكن الحياة هى الحياة.. مزيج من السعادة والشقاء.. الخير والشر.

لم يكن يدور بخلد آدم وحواء أن الحياة صراع.. وأنهما سوف يشهدان صراع أبنائهما.. وقد كان هذا الصراع الأول من أجل المرأة. فقد كان من المفروض أن يتزوج كل توأم بتوأمة الآخر وألا يتزوج توأمته هو. ومن هنا أمر آدم هابيل أن يتزوج من إقليما ومن هنا بدأ الصراع.. رفض قابيل أن يتزوج من لبودا، وأصر أن يتزوج من توأمته «أقليما» لأنها أكثر جمالا وقد هام بها حبا، ولم يطع أبيه، ولم يجد آدم وسيلة لحل هذا الإشكال بين الأخوين، إلا أن يأمر ولديه بأن يقدم كل واحد منهما قربانا إلى الله، والذى يتقبل الله منه هو الذى يتزوج إقليما.. وقبل قربان «هابيل» عندما قدم كبشا فرفع إلى السماء وبقى على الأرض قربان قابيل..

وهذا الموقف يصوره القرآن الكريم بأسلوبه المعجز بقوله:

﴿اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ

اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٧ - ٣١].

لقد لخصت هذه الآيات الكريمة قصة هذا الصراع بين قابيل وهابيل، والتى انتهت بأن قتل الأخ أخاه حتى يفوز بمن شغلت قلبه وهام بها حبا.. وهكذا كان الحب الدافع لأن يقتل قابيل أخاه هابيل.

ويروى ابن كثير فى كتابه «قصص الأنبياء» ما ذكره أبو جعفر الباقر «أن آدم كان مباشرا لتقريبهما القربان، والتقبل من هابيل دون قابيل».

فقال قابيل لآدم

ـ إنما تقبل منك لأنك دعوت له ولم تدع لى، وتوعد أخاه فيما بينه وبين نفسه.

فلما كان ذات ليلة أبطأ هابيل فى الرعى، فبعث آدم أخاه قابيل لينظر ما أبطأ به.

فلما ذهب إذا هو به فقال له:

ـ تقبل منك ولم يتقبل منى.

فقال:

- إنما يتقبل الله من المتقين.

فغضب قابيل عنده وضربه بحديدة كانت معه فقتله.

وقيل: إنه إنما قتله بصخرة رماها على رأسه وهو نائم فشدخته.

وقيل بل خنقه خنقا شديدا وعضه كما تفعل السباع فمات.. والله أعلم».

ويقول ابن كثير:

وقوله لما توعده بالقتل: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨]

دل على خلق حسن، وخوف من الله تعالى وخشية منه، وتورع أن يقابل أخاه بالسوء الذى أراد منه أخوه مثله.

ولهذا ثبت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار».

قالوا: يارسول الله.. هذا القاتل فما بال المقتول؟

قال: لأنه كان حريصا على قتل صاحبه».

مهما كانت وسيلة القتل. فقد حدثت الجريمة.. والسبب هو المرأة.. لقد دفع هابيل حياته بسبب نقمة أخيه عليه، لأنه سيتزوج من يهواها قلبه. وكانت أول جريمة فى التاريخ.

بعدها لم يستطع قابيل أن يواجه نظرات أبيه، وتأنيبه له، فأخذ زوجته متجها صوب الجنوب.. إلى المكان الذى أصبح اليمن الآن.. حيث أنجب من زوجته إقليما ذرية كثيرة.

وعاش آدم حزينا لقتل ابنه هابيل.. إلى أن رزقه الله بابنه شيث «وشيث يعنى هبة الله».

وقيل أن آدم عاش ألف عام. وأنه مات قبل حواء بعام واحد.. ولم يُعرف المكان الذى دفنا فيه.. و.. بدأت ملحمة البشرية.

* * *

obeikandl.com